● إعداد: ليلى الشافعي

ادعوني .. أستجب لكم

اللهم اغسلني فيه من الذنوب وطهرني
فيه من العيوب وامتحن قلبي فيه بتقوى القلوب يا مقيل عثرات المذنبين

خواطر رمضانية

الداعية خالد الخراز

«المنة لله جميعا»

قال تعالى: (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم مؤمنين) (الحجرات 17).

إن أكبر منة يمنها الله على عباده نعمة الإيمان والهداية، فالمؤمن الحق ينسب ما به من نعمة إلى ربه فله الفضل والمنة.

إن كل أعمال العبد الصالحة هي بتوفيق من الله، والفضل فيها يعود إليه، وأن العبد هو بالله لا بنفسه ولا بعقله، لأن كل ما يقوم به من أفعال تؤدى بالجوارح التي خلقها الله، وكل فكرة تنشأ بالعقل الذي هو من خلق الله، وهو قادر على حرمان العبد من قدرة الجوارح على العمل أو حرمانه منها كلها، والذي على العبد هو الإقرار بأن كل قول أو عمل يؤديه الإنسان الفضل فيه يعود إلى الله سبحانه عند ذلك يزول فخره وإعجابه بنفسه، وهو بذلك يرد الفضل إلى صاحب الفضل والمنة على الناس كافة، وذلك لأن الإعجاب بالنفس يفسد القول والعمل بحرمانه من عون الله سبحانه وتوفيقه، وعلى أساس الاعتراف لله بالفضل كله يصلح الله سبحانه أقوال العبد وأفعاله، والفرق شاسع بين عالم يرجع الفضل إلى الله بكل عمل خير، وجاهل يدعي ان هذا من نفسه وقدرته وحده، فعلينا أن نقر بأن كل نجاح في قول أو عمل لا يتم إلا بتوفيق من الله، ولا ننسب ذلك إلى نفوسنا، لأننا نحن وما نعمل مرجعنا إليه جل جلاله.

من التراث

قضية السؤال الصعب

جاء شيخ كبير إلى مجلس الإمام الشافعي، فسأله: ما الدليل والبرهان في دين الله؟ فقال الشافعي: كتاب الله. فقال الشيخ: وماذا أيضا؟ قال: سنة رسول الله ﷺ. قال الشيخ: وماذا أيضا؟ قال: اتفاق الأمة. قال الشيخ: من أين قلت اتفاق الأمة؟ فسكت الشافعي، فقال له الشيخ: سأمهلك ثلاثة أيام. فذهب الإمام الشافعي إلى بيته، وظل يقرأ ويبحث في الأمر، وبعد ثلاثة أيام جاء الشيخ إلى مجلس الشافعي، فسلم وجلس، فقال له الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات، حتى هداني الله إلى قوله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)، فمن خالف ما اتفق عليه علماء المسلمين من غير دليل صحيح أدخله الله النار، وساءت مصيرا. فقال الشيخ: صدقت.

على طريق الخير

يقوم الناس بالرحلات لأغراض عدة بعضهم لإنجاز الأعمال وعقد الصفقات ومعظمهم للسياحة والترفيه أو لمجرد اللهو والاستمتاع الحسي، ولكن ماذا عن الدعاة الذين آلوا على أنفسهم حمل رسالة سامية وإيصالها إلى غيرهم ممن لا يعلمون عن الإسلام شيئا؟ أين ذهب هؤلاء الدعاة في رحلاتهم وماذا شاهدوا؟ وما انطباعاتهم خلال تلك الرحلات؟ كل يوم يحدثنا البعض عما رأى في رحلاته.

انقض عليّ الأطفال وتسلقوا على ظهري بمجرد أن فتحت علبة الحلوى المصاص

اليوم موعدنا مع الإعلامي حمد المري يحدثنا عن رحلته الدعوية وبدايتها قائلا:

كوسوفا

بدأ مشواري الفعلي مع العمل الخيري بعد التحاقي بالعمل في بيت الزكاة بإدارة العلاقات العامة والإعلام بوظيفة محرر صحافي في شهر يوليو 1997 فقد أصبحت قريبا جدا من تفاصيل العمل الخيري وكيفية إعداد المشاريع وتسويقها ومتابعة تنفيذها سواء كانت هذه المشاريع الخيرية تنفذ داخل الكويت أو خارجها.

وقد تعلقت بهذا العمل بقلبي قبل جوارحي لما أحسست فيه من فرح وسرور وراحة نفس اذا وجدت انني مشارك في مسح دمعة يتيم او اعالة مريض او مساعدة محتاج او بناء مسجد او مركز صحي او قرية للفقراء او مدرسة لتعليم الأطفال في مختلف بلدان العالم ممن يعيش فيها شعوب مسلمة، وكانت أول مشاركة لي في تفقد المشاريع الخيرية التي ينفذها بيت الزكاة خارج الكويت في شهر ابريل 1999 فقد تطوعت لمشاركة وفد بيت الزكاة للسفر الى ألبانيا لإغاثة شعب كوسوفا إبان الحرب الصربية-اليوغوسلافية ضد اقليم كوسوفا وكنا تحت مظلة اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة وقد فرحت فرحا شديدا عندما وجدت ان اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة هي الوحيدة من بين اللجان والمنظمات الخيرية والانسانية العالمية التي خصصت أماكن للاجئين الكوسوفيين مباني لايوائهم وليس خياما.

فقد أجرت اللجنة فندقا قديما ورممته وسكنت فيه بعض العوائل الكوسوفية، كما أجرت مدرسة قديمة ومهجورة من رئيس بلدية إحدى مناطق ألبانيا وأعادت ترميمها وتجهيزها وسكنت فيها ايضا عوائل كوسوفية ووجدنا من بين هذه العوائل مدرسا كوسوفيا يتكلم اللغة العربية بطلاقة كونه كان درس في الأزهر سنوات عدة فجعلناه مشرفا على المخيم وحلقة وصل بيننا وبين اللاجئين الكوسوفيين نسمع منهم احتياجاتهم الأساسية حتى نتمكن من توفيرها، وعند تفقدنا لهذا المخيم الذي هو كما أشرت عبارة عن مدرسة مهجورة تمت اعادة ترميمها من قبل تبرعات أهل الكويت وتسكين العوائل الكوسوفية فيها علمت هذه العوائل بأننا مسلمون من الكويت ففرحوا فرحا شديدا وأمسك بيدي رجل كبير في السن وذهب بي الى الغرفة التي يسكن فيها مع عائلته وهو يتكلم باللغة الكوسوفية ورفع غطاء من القماش كان يغطي عددا من الكراتين التي تحتوي على لحم معلب فطلبت من المدرس الكوسوفي الذي يتكلم اللغة العربية ترجمة ما يقول فأخبرني بانه يقول ان بعض اللجان الانسانية غير المسلمة أعطته هذا اللحم المعلب وهو لحم خنزير فلم يأكله لأنه حرام ولكن بعد وصولنا استبشر خيرا كونه سيأكل من المواد الغذائية التي سنوفرها له خاصة اللحوم لأنه متأكد اننا لن نطعمه لحم خنزير بل سنطعمه اللحوم الحلال، ثم اصر هذا الرجل الكبير في السن على ان يستضيفنا في الغرفة المخصصة لسكنه طالبا من إحدى بناته الصغار إعداد الشاي لنا فجلسنا معه وأخذ يقص علينا كيف دخلت القوات الصربية على قريته وأخذت تقتل الشباب وتدمر المنازل وتخطف النساء فهرب هو ونساء عائلته ولا يعلم ماذا حدث لابنه الذي تركه خلفه بعد ان تطوع للدفاع عن القرية.

حمد المري يمسح على رأس يتيم

وأثناء وجودنا في ألبانيا لم نعلم اننا قد نتعرض للأخطار كوننا في دولة فيها حكومة وقانون ولكن للأسف خاب ظننا في ذلك الوقت حيث دخلت عصابة مسلحة بمسدسات الى احد المخيمات التي نشرف عليها وطلب رئيس هذه العصابة التحدث معنا فأخبرناه باننا وفد خيري قدمنا لمساعدة اللاجئين ولكنه أصر على طرد اللاجئين من المدرسة المهجورة التي جعلناها مخيما للاجئين بموافقة رئيس البلدية متحججا بان الأرض المقامة عليها المدرسة ملك لعائلته وان الحكم الشيوعي السابق صادرها منهم وانه يريد استرجاعها ولو بالقوة فتفاوض معه احد الاخوة المسؤولين عن مكتب اللجنة الكويتية المشتركة للاغاثة في ألبانيا فعلم انه محتال وانه يريد ان نخصص له جزءا من المواد الاغاثية التي نوزعها على اللاجئين، وبعد انتهاء التفاوض معه ذهبنا الى رئيس البلدية لنخبره بما حصل فطمأننا بأنه سيحمي هذا المخيم.

اندونيسيا

ومن الأعمال الخيرية التي شاركت فيها خارج البلاد اغاثة الشعب الاندونيسي الذي تعرض لزلزال مدمر في اقليم جاوة بعد مرور سنة على زلزال تسونامي فقد تطوعت كممثل لبيت الزكاة في وفد اللجنة الكويتية المشتركة للاغاثة وسافرت الى اندونيسيا وتخللت رحلتي من بداية الاقلاع حتى العودة الى الكويت 11 رحلة طيران، فعند وصولي الى العاصمة الاندونيسية جاكرتا ملتحقا بالوفد الخيري الكويتي فوجئت بان الحكومة الاندونيسية ترفض تقديمنا المساعدات الخيرية مباشرة للأسر المتضررة من الزلزال طالبة منا ان نسلمها أموال هذه المساعدات وهي التي تصرفها بمعرفتها، فرفض الوفد هذه الفكرة كون هذه الأموال أمانة في أعناقهم ولا بد ان يتأكدوا من وصولها فعلا للأسر المتضررة فتم تغيير الهدف من اغاثة المنكوبين من زلزال جاوة الى تفقد مشروع القرية الكويتية التي بنتها اللجنة الكويتية المشتركة للاغاثة في اقليم اتشيه الذي ضربه زلزال تسونامي وهي قرية تتكون من 101 بيت وعند تفقدنا لهذه القرية أحسسنا بحرارة ترحيب سكانها وامتنانهم للكويت وأهلها لأنهم آووهم بعد ان دمر الزلزال منازلهم وقتل أحباءهم فبادر اهل الكويت بمد يد العون لهم فعليا على ارض الواقع وليس بمجرد تصاريح اعلامية فقط.

وفي عام 2006 كلفت من قبل ادارة بيت الزكاة برئاسة وفد رسمي لتصوير مشاريع بيت الزكاة الخيرية المتنوعة في الخارج فكان سير رحلتنا الذي استغرق شهرا كاملا يتمثل في تفقد وتصوير مشاريع بيت الزكاة الخيرية في البحرين كونها تمثل العمل الخيري الكويتي الذي يشرف على تنفيذه بيت الزكاة في دول الخليج العربية وكذلك تفقد وتصوير مشاريع بيت الزكاة الخيرية في بنغلاديش كونها تمثل العمل الخيري الكويتي في القارة الهندية وكذلك تصوير مشاريع البيت في اندونيسيا لتمثيل العمل الخيري في القارة الصفراء وأيضا تصوير مشاريع البيت الخيرية في مصر لتمثيل العمل الخيري الكويتي في الدول العربية وكذلك تفقد وتصوير المشاريع الخيرية في السنغال كنموذج للعمل الخيري الكويتي في القارة الأفريقية وأخيرا تفقد وتصوير مشاريع البيت الخيرية في البوسنة والهرسك كنموذجأوروبا

عن العمل الخيري الكويتي في القارة الأوروبية. وكان من أهداف هذه الرحلة الشاقة تفقد مشاريع بيت الزكاة المختلفة سواء بناء مساجد أو حفر آبار أو تشييد مدارس أو كفالة أيتام وطلبة علم وتصوير بعض هذه المشاريع تلفزيونيا حتى نبين للشعب الكويتي الذي جبل على حب الخير لإخوانه المسلمين في العالم. وفي هذه الرحلة شاهدت بعيني شروق شمس العمل الخيري الكويتي في قرى بعيدة داخل الغابات أو متوغلة في الصحراء قد استفادت منها أسر عديدة ففي السنغال مثلا قام بيت الزكاة بحفر بئر ماء على أحد الطرق الصحراوية فقدمت إليه الأسر البدوية التي كانت تتنقل بأغنامها وأبقارها في الصحراء تبحث عن الماء فاستقرت بالقرب من هذه البئر وكونت قرية صغيرة ثم بدأت بالزراعة لتوفر لنفسها الطعام فاستقرت حالتهم والحقوا ابناءهم بحلقات التعليم وهي مثل الكتاتيب يتعلمون فيها القرآن والكتابة والقراءة والحساب بعد أن كانوا يعانون من الأمية ويشقون بسبب الترحال المتكرر للبحث عن الماء. أما في جمهورية مصر العربية فقد اجتمع مع عدد من طلبة العلم الذين كفلهم بيت الزكاة من أجل استمرار تحصيلهم العلمي في الجماعات المصرية فوجدت الشاب العربي والأفريقي والهندي والاندونيسي كلهم إما يدرسون في الجامعات لنيل الشهادة الجامعية وإما يدرسون لنيل شهادات عليا كالماجستير والدكتوراه في مجالات مختلفة. كما اطلعت على الحياة اليومية لأحد الأيتام الذي يكفلهم بيت الزكاة سواء في مدرسته أو في بيته ولما علمت والدته أننا وفد من بيت الزكاة رحبت بنا ترحيبا حارا ولسانا يلهج بالدعاء لأهل الكويت لأنهم هم السبب بعد الله تعالى في انقاذ حياتهم وحياة ابنها من الضياع بعد أن توفي الله زوجها الذي كان يعيلهم. وفي بنغلاديش قررنا زيارة أكبر دار أيتام بناها أهل الخير الكويتي هناك وكانت هذه الدار في اقليم جسور وهذه الدار ليست فقط لإيواء الايتام بل ولتعليمهم تعليما نظاميا صحيحا وقد شاركت معهم جميع انشطتهم اليومية وشعرت بفرح هؤلاء الأيتام ونحن نشاركهم هذه الانشطة ونوزع عليهم الحقائب الدراسية التي تحتوي على الكتب والأقلام وجميع مستلزمات الدراسة وعند رجوعنا في المساء الى العاصمة دكا داهمتنا عاصفة ممطرة ونحن على ظهر عبارة تحملنا من أجل عبور أحد الانهار للوصول إلى العاصمة دكا فأخذت الامواج تتلاطم بنا في منظر مهيب ومخيف ونحن ندعو الله أن ينجينا منها وأن نعود لأهلنا سالمين.

وفي زيارتنا إلى البوسنة ذهبنا إلى إحدى القرى العربية من الحدود الصربية لنتفقد بعض الايتام هناك ولنتفقد أحد المساجد الذي تم اعادة بنائه من جديد في مكان المسجد القديم الذي دمره صاروخ صربي إبان حرب البوسنة والهرسك عام 1995 وكانا في يوم الجمعة وبينما نحن نقف عند المسجد إذ بباص مدرسة يتوقف بجوار المسجد ويترجل منه شاب بوسني يعمل مدرسا في إحدى المدارس في القرية وسلم علينا واستفسر عن هويتنا فأخبرناه بأننا من اهل الكويت وجئنا لنتفقد مشاريع البيت الخيرية ومن ضمنها هذا المسجد فطلب من جميع الطلبة الخروج من الباص والاستعداد لصلاة الجمعة معنا في المسجد ثم استأذنا في الاذان للصلاة فأذنا له فأذن فكان صوته من أعذب الاصوات التي سمعتها وبعد الانتهاء من الخطبة والصلاة تقدم إلينا المدرس وجميع الطلبة ليسلموا علينا بحرارة ويشكرونا على بناء هذا المسجد مكان المسجد القديم لأنه يعتبر المسجد الوحيد في القرية وفي القرى القريبة أيضا.

ومن الأيتام الذين تم تفقدهم في البوسنة والهرسك طفل صغير يبلغ من العمر 9 سنوات قتل أباه من مذبحة سربنيتسا وأخبرتنا والدته بأنها هربت به وهو ابن سبعة اشهر من المذبحة سيرا على الأقدام مجتازة الجبال والغابات مع عدد من النازحين حتى قدمت إلى العاصمة سراييفو وكانت تقتات على المساعدات الإغاثية التي تقدمها المنظمات الخيرية والإنسانية ولما انتهت الحرب تغيرت حياتها بفضل كفالة بيت الزكاة لابنها ومساعدتها في بناء بيت صغير يؤويها.

من المواقف الطريفة التي حدثت لي انني عندما ذهبت مع وفد بيت الزكاة الى إغاثة الشعب الكوسوفي عام 1999 ذهبت الى احدى البقالات وهي عبارة عن شاليه من الصفيح لاشتري بيضا فدخلت البقالة وسلمت على صاحبها فنظر إلي مستغربا من سلامي على الرغم من انه مسلم ولكن للأسف مسحت الشيوعية هويتهم الاسلامية قبل ان يتخلصوا من النظام الشيوعي فطلبت منه بيضا باللغة الانجليزية فلم يفهم علي فأخذت أفهمه بلغة الاشارة فلم يفهم علي فأخذت اجول بعينين في البقالة لعلي اشاهد البيض فلما وقت عيناي عليه اشرت بأصبعي اليه فقال له البقال «بيز» أي بيض فقلت له باللغة العربية مازحا «لو أني أدري أنكم تسمونه بيز كان قلت لك من زمان بيض او بيز ولا جلست احوس معك علشان تفهم».

وكذلك من المواقف الطريفة انني قررت ان اشتري علبة كبيرة من الحلوى المصاص لكي اوزعه على اطفال اللاجئين الكوسوفيين في المخيم الذي سنزوره وبمجرد دخولي المخيم ومشاهدة الأطفال لي وأن افتح علبة الحلوى المصاص حتى انقضوا علي وأخذ بعضهم يتسلق ظهري ويركب فوق رأسي والآخر متعلق برجلي وممسك بيدي حتى سقطت على الأرض وأنا أضحك وهم يضحكون علي ويضحكون في نفس الوقت فرحا لحصولهم على الحلوى.

بين الايتام

ركعتا الوضوء

هل يوجد ما يسمى بركعتي الوضوء؟ وهل هاتان الركعتان مشروعتان بعد الوضوء؟

● **نعم صلاة ركعتين بعد الوضوء مشروعة، ومندوبة بالاتفاق بين الفقهاء على ان تتم في غير اوقات الكراهة، وعند الشافعية هي سنة في اي وقت، ومستند ندب الركعتين قول عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: «من توضأ مثل وضوئي هذا ثم اتى المسجد فركع فيه ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه لا تغتروا»، ومعنى لا تغتروا: اي لا تخدعوا بغفران مما تقدم من الذنوب فترتكبوا غيرها معتمدين على المغفرة بالوضوء فانها بمشيئة الله تعالى (فتح الباري 183/1 عن الدين الخالص 279/1).**

التدخين

هناك من أفتى بأن التدخين في نهار رمضان لا يؤثر على صحة الصوم فما حكم التدخين للصائم في نهار رمضان؟

● **ان الدخان عبارة عن اجرام ضارة تدخل الى جوف الانسان من منفذ معتاد وهو الفم، وكل جرم دخل من منفذ معتاد بإرادة الانسان ذاكرا لصومه في نهار رمضان فإنه يفسد به الصوم، والذي افتى بعدم الفطر استند الى ان المفطرات ما يكون أكلا او شرابا او ما يكون من جنس الأكل والشرب، وقاس تعاطي الدخان على استنشاق دخان المطبخ والسيارة.**

وهذا القول باطل من وجوه، اولا: ان الدخان هو في معنى الأكل والشرب، لانه اجرام ومواد تقدر - كما يذهب بعض الباحثين - الى اربعمائة نوع من السموم يدخلها الانسان الى جوفه من الفم.

وتسبب فتورا في الجسم - في الغالب - فهي بمعنى الأكل والشرب الذي ذكر عن المفطرات.

ثانيا: قياس تعاطي الدخان على دخان المطبخ وعادم السيارات قياس مع الفارق.

فتعاطي الدخان متعمد ومقصود من الصائم، والثاني غير متعمد فهو معفو عنه، لمشقة الاحتراز عنه، لذلك نص العلماء على انه من قصد شم البخور وادخله الى جوفه بالاستنشاق عامدا ذاكرا لصومه بطل صومه.

فلا يقاس من يقصد تعاطي الدخان وادخاله الى جوفه بما تشم رائحته من غير عمد، ولا يلتفت الى الخلاف في هذه المسألة.

تجارة الحمام

لدي مائتا زوج حمام لوت «يتقلب اثناء طيرانه» تساوي مائتي ألف دينار، اعددتها للتجارة، كيف أخرج الزكاة؟

● **تقوم بتقويمها بسعر الحمام اللاحم، لانه لا اعتبار لما يعده الناس من قيمة لتقلبها حال طيرانها في الهواء، والله أعلم.**

معاكسة البنات

ما حكم من يغازل بنتا في شهر رمضان؟

● **مغازلة البنات من العادات السيئة والذنوب الكبيرة التي انتشرت عند كثيرين من الشباب، والمتتبع لأصول هذه الظاهرة السيئة يجد أن أصلها يكمن في ضعف الوازع الديني عند البعض وعدم خوفهم من الله وتركهم مراقبة الله سبحانه وتعالى وفساد التربية في البيوت والمجتمعات رجالا ونساء، وما تقوم به كثير من وسائل الإعلام من نشر للرذيلة وتشجيع لها، ومحاصرة وتضييق لأبواب الفضيلة في وجوه الناس، وان الشاب الغيور على عرضه يأنف من مثل هذه التصرفات الطائشة التي غالبا ما تصدر عن عدم التزام الشاب بأوامر الله، فلا يقدم على هذا الفعل إلا شاب غير محافظ على الصلاة ولا يغض بصره وتجد قلبه خاويا هائما يمينا ويسارا بملاحقة ومتابعة البنات، ونسي هذا الشاب، أو تناسى ان الناس لا يرضون هذا لبناتهم وهو كذلك لا يرضى هذا الفعل لأهله.**

ألا يعلم هذا الشاب أن الله سيسأله عن هذه القوة أو الطاقة التي يهدرها في غير محلها؟ ألم يسمع قول الرسول ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» رواه الترمذي وغيره، وهو صحيح. ألا يرى هذا الشاب ما يصيب أمته من إذلال واحتقار، فيربي نفسه على العزة والكرامة.

ألا فمن ابتلي بهذا المرض فليعالجه من أساسه وهو أن هذا الشاب إنما أتى من قبل إطلاقه بصره، ولو انه استجاب لقول الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - النور: 30) لأراح نفسه، ثم على من أراد التخلص من هذا الداء أن يبحث عن الحلال وسيعينه الله على تحصيله بمشيئته تعالى.

● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

توبة الداعية سوزي مظهر

سوزي مظهر لها أكثر من عشرين عاما في مجال الدعوة إلى الله، ارتبط اسمها بالفنانات التائبات وكان لها دور دعوي بينهن.. روت قصة توبتها فقالت: تخرجت في مدارس «المارديديه» ثم في قسم الصحافة بكلية الآداب، عشت مع جدتي والدة الفنان أحمد مظهر فهو عمي.. كنت أجوب طرقات حي الزمالك، وأرتاد النوادي وكأنني أستعرض جمالي أمام العيون الحيوانية بلا حرمة تحت مسميات التحرر والتمدن.

وكانت جدتي العجوز لا تقوى علي، بل حتى أبي وأمي، فأولاد الذوات هكذا يعيشون، كالأنعام، بل أضل سبيلا، إلا من رحم الله عز وجل.

حقيقة كنت في غيبوبة عن الإسلام سوى حروف كلماته، لكنني رغم المال والجاه كنت أخاف من شيء ما.. أخاف من مصادر الغاز والكهرباء، وأظن أن الله سيحرقني جزاء ما أنا فيه من معصية، وكنت أقول في نفسي إذا كانت جدتي مريضة وهي تصلي، فكيف أنجو من عذاب الله غدا، فأهرب بسرعة من تأنيب ضميري بالاستغراق في النوم أو الذهاب إلى النادي.

وعندما تزوجت، ذهبت مع زوجي إلى فرنسا لقضاء ما يسمى بشهر العسل، وكان مما لفت نظري هناك، أنني عندما ذهبت للڤاتيكان في روما وأردت دخول المتحف البابوي أجبروني على ارتداء البالطو أو الجلد الأسود على الباب.. هكذا يحترمون ديانتهم المحرفة.. وهنا تساءلت بصوت خافت: فما بالنا نحن لا نحترم ديننا؟

وفي أوج سعادتي الدنيوية المزيفة قلت لزوجي أريد أن أصلي شكرا لله على نعمته، فأجابني: افعلي ما تريدين، فهذه حرية شخصية.

وأحضرت معي ذات مرة ملابس طويلة وغطاء للرأس ودخلت المسجد الكبير بباريس فأديت الصلاة، وعلى باب المسجد أزحت غطاء الرأس، وخلعت الملابس الطويلة، وهممت أن أضعها في الحقيبة، وهنا كانت المفاجأة.. اقتربت مني فتاة فرنسية ذات عيون زرقاء لن أنساها طول عمري، ترتدي الحجاب.. أمسكت يدي برفق وربتت على كتفي، وقالت بصوت منخفض: لماذا تخلعين الحجاب؟ ألا تعلمين أنه أمر الله.. كنت أستمع لها في ذهول، والتمست مني أن أدخل معها المسجد بضع دقائق، حاولت أن أفلت منها لكن أدبها الجم وحوارها اللطيف أجبراني على الدخول.

سألتني: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ أتفهمين معناها؟.. إنها ليست كلمات تقال باللسان، بل لابد من التصديق والعمل بها.

لقد علمتني هذه الفتاة أقسى درس في الحياة.. اهتز قلبي، وخضعت مشاعري لكلماتها ثم صافحتني قائلة: انصري يا أختي هذا الدين.

خرجت من المسجد وأنا غارقة في التفكير لا أحس بمن حولي، ثم صادف في هذا اليوم أن صحبني زوجي في سهرة إلى «كباريه»، وهو مكان إباحي يتراقص فيه الرجال والنساء شبه عرايا، ويفعلون كالحيوانات، بل إن الحيوانات لتترفع من أن تفعل مثلهم، ويخلعون ملابسهم قطعة قطعة على أنغام الموسيقى.. كرهتهم، وكرهت نفسي الغارقة في الضلال.. لم أنظر إليهم، ولم أحس بمن حولي، وطلبت من زوجي أن نخرج حتى أستطيع أن أتنفس.. ثم عدت فورا إلى القاهرة، وبدأت أولى خطواتي للتعرف على الإسلام.

وعلى الرغم مما كنت فيه من زخرف الحياة الدنيا إلا أنني لم أعرف الطمأنينة والسكينة، ولكني أقترب إليها كلما صليت وقرأت القرآن.

واعتزلت الحياة الجاهلية من حولي، وعكفت على قراءة القرآن ليلا ونهارا.. وأحضرت كتب ابن كثير وسيد قطب وغيرها.. كنت أنفق الساعات الطويلة في حجرتي للقراءة بشوق وشغف.. قرأت كثيرا، وهجرت حياة النوادي وسهرات الضلال.. وبدأت أتعرف على أخوات مسلمات.

ورفض زوجي في بداية الأمر بشدة حجابي واعتزالي لحياتهم الجاهلية، لم أعد اختلط بالرجال من الأقارب وغيرهم، ولم أعد أصافح الذكور، وكان امتحانا من الله، لكن أولى خطوات الإيمان هي الاستسلام لله، وأن يكون الله ورسوله أحب إلي مما سواهما، وحدثت مشاكل كادت تفرق بيني وبين زوجي، ولكن، الحمد لله فرض الإسلام وجوده على بيتنا الصغير، وهدى الله زوجي إلى الإسلام، وأصبح الآن خيرا مني، داعية مخلصا لدينه، أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدا.

ورغم المرض والحوادث الدنيوية، والابتلاءات التي تعرضنا لها، فنحن سعداء ما دامت مصيبتنا في دنيانا وليست في ديننا.

الرجال مواقف

سلمة بن الأكوع صاحب البيعتين

أنموذج فذ في الفداء والتضحية، وضرب المثل بالأفعال لا بالأقوال للمسلم الذي يعرف حق ربه عليه، ويعرف حق نبيه عليه، وحق أمته عليه، تحرك من فوره من أجل الذود عن حياض المسلمين، حين ألمت بهم غارات الأعداء، لم ينتظر مددا من أحد، ولم ترهبه كثرة الأعداء، ولم تردعه الأسلحة التي في حوزتهم، رام من أمهر رماة السهام، يضرب به المثل في الشجاعة، عداء لا يسابقه أحد إلا سبقه، بل كان يسبق الفرس شدا على قدميه، عدا يوما بطوله وراء لقاح لرسول الله ﷺ، (وهي إبل قريبة عهد بالولادة ذات لبن)، كانت ترعى بـ «ذي قرد» على نحو يوم من المدينة أغار عليها قوم من غطفان، انبرى لهم، وتبعهم وحده حتى استنقذ لقاح رسول الله ﷺ، ونال منهم بفضل إقدامه وإيمانه وغيرته على الرسول والإسلام والمسلمين. اسمه: «سلمة بن عمرو بن الأكوع»، وينسبه جماعة أهل الحديث إلى جده «الأكوع»، واسمه الأكوع سنان بن عبدالله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم الأسلمي، وكنيته: أبو مسلم، وقيل أبو إياس، وقيل أبو عامر، والأكثر أبو إياس، بابنه إياس.

غزوة ذي قرد

قصة شجاعته منقطعة النظير مروية في كتب السيرة تحت عنوان «غزوة ذي قرد»، وهي في الحقيقة غزوة ابن الأكوع بامتياز، ظهرت فيها شجاعته في أروع مظاهرها، وفيها أنه رضي الله عنه لحق وحده بالقوات التي أغارت على إبل لرسول الله ﷺ، فاسترجع الإبل، واستلب في ذلك اليوم من العدو وهو راجل، ثلاثين بردة وثلاثين درقة، وقتل منهم بالنبل كثيرا، وكانوا كلما هربوا أدركهم، وكلما رجعوا إليه يريدون النيل منه أفلت منهم، كان وحده، يحركه حب لله ولرسوله، ولم يكن معه غير قوة في البدن وسرعة في العدو، سبقوه فلحقهم، يضربهم بنبله، ويرميهم بالحجارة، ولا يستطيعون الوصول إليه، ولا التوصل إلى مكمنه، إذا اجتمعوا عليه صعد على رأس جبل صغير، وإذا تركوه ومضوا في طريقهم لحق بهم وأوجعهم نبلا، حتى قتل منهم وعقر بعض خيلهم.

والغريب في قصة الغزوة التي كان بطلها الأول سلمة رضي الله عنه علم مصادفة بأمر الغارة على إبل رسول الله ﷺ، فقد كان في طريقه إلى الغابة ليصيد، وكان راميا محترفا يجيد الرمي بالنبل، وكانت الساعة قبيل أذان الفجر، يقول: خرجت قبل أن يؤذن، بالأولى، وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد، فلقيني غلام لعبدالرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح رسول الله ﷺ، قلت: من أخذها؟ قال: غطفان، فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه، فأسمعت ما بين لابتي المدينة، (وكان رضي الله عنه واسع الصوت جدا)، يقول: ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء، فجعلت أرميهم بنبلي، وكنت راميا، وأقول: أنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع، (يقصد يوم اللئام)، وظل يرتجز بهذا حتى استنقذ اللقاح منهم، وفي رواية مسلم على لسان سلمة يحكي القصة: «فألحق رجلا منهم فأصكه بسهم في رجله فخلص السهم إلى كعبه، فما زلت أرميهم وأعقرهم، فإذا رجع إلي فارس منهم أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به، فإذا تضايق الخيل فدخلوا في مضايقة علوت الجبل فرميتهم بالحجارة»، ويصف ابن إسحاق صاحب السيرة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فيقول: «كان مثل الأسد، فإذا حملت عليه الخيل فر ثم عارضهم فنضحها عنه بالنبل».

ويقول سلمة في بقية رواية البخاري: واستلبت منهم ثلاثين بردة، وفي رواية مسلم: فما زلت كذلك حتى ما خلق الله من ظهر رسول الله ﷺ من بعير إلا خلفته وراء ظهري، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يتخففون بها، قال فأتوا مضيقا فأتاهم رجل فجلسوا يتغدون فجلست على رأس قرن، ولم يبرح مكانه حتى رأى فوارس رسول الله ﷺ، وجاء النبي ﷺ والناس فقال له سلمة: يا نبي الله قد حميت القوم الماء وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة، فقال: «يا ابن الأكوع ملكت فاسجح»، (يعني قدرت فاعف)، قال: ثم رجعنا ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة، وفي رواية مسلم فقال رسول الله ﷺ: «خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا (يقصد المشاة) اليوم سلمة»، قال سلمة: ثم أعطاني سهم الراجل والفارس جميعا».

تحت الشجرة

وهو من أصحاب بيعة الرضوان عام الحديبية الذين قال فيهم النبي ﷺ: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة، وهي البيعة التي دعا إليها النبي الصحابة لما احتبست قريش عثمان رضي الله عنه، حين بعثه النبي يفاوضهم على أداء العمرة والرجوع بغير حرب ولا قتال عند بيت الله الحرام، وطال احتباس عثمان رضي الله عنه، حتى شاع بين المسلمين أنه قتل، فلم بلغ خبر تلك الإشاعة رسول الله ﷺ، قال: «لا نبرح حتى نناجز القوم»، ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فثاروا إليه يبايعونه على ألا يفروا، وبايعته جماعة على الموت، وروى إياس ابن سلمة عن أبيه قال: بينا نحن قائلون نادى مناد: أيها الناس البيعة، البيعة، فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت الشجرة فبايعناه فذلك قول الله عز وجل: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) (الفتح18)، وكان أول من بايعه أبو سنان الأسدي،وبايعه سلمة بن الأكوع مرتين، في أول الناس وآخرهم، يقول ابن الأكوع: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل الشجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع، ألا تبايع؟ قال: قلت قد بايعت يا رسول الله، قال: وأيضا، قال: فبايعته الثانية، ويقول راوي الحديث الذي أخرجه البخاري عن يزيد بن أبي عبيد: فقلت له يا أبا مسلم، على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال على الموت، قال ابن المنير: الحكمة في تكراره البيعة لسلمة أنه كان مقداما في الحرب فأكد عليه العقد احتياطا، ويقول صاحب فتح الباري في شرح صحيح البخاري: أو لأنه كان يقاتل قتال الفارس والراجل فتعددت البيعة بتعدد الصفة.

وروي عن سلمة بن الأكوع أنه قال: بايعت رسول الله يوم الحديبية على الموت، وروى غيره قال: بايعناه على ألا نفر، والمعنى واحد، فإن البيعة إذا كانت على ألا نفر، فهي على الموت، أو أنه ﷺ بايع كلا منهم على قدر ما عنده من الشجاعة، وكان من نصيب سلمة بن الأكوع بيعتان على الموت. ويروي بعض التابعين فيقول: أتينا سلمة بن الأكوع بالربذة (وكان قد اعتزل الفتنة فيها) فأخرج إلينا يدا ضخمة كأنها خف البعير، فقال: بايعت بيدي هذه رسول الله ﷺ، قال: فأخذنا يده، فقبلناها.

تربية نبوية

كان سلمة شابا نشأ في رعاية رسول الله ﷺ وتربى على يديه فنشأ شجاعا مقداما صاحب مبادأة، يأمر رسول الله بأمر فيبادر الصحابة بالتنفيذ، وكان سلمة يسابق الجميع إلى تنفيذ الأمر، ويروى أن المشركين بعثوا بعين لهم إلى رسول الله ﷺ، يتجسس على أحوال المسلمين، ودعي إلى طعام فلما طعم انسل، يريد الهروب بما شاهده وتعرف إليه من أحوال المدينة، فقال رسول الله ﷺ: علي بالرجل، اقتلوه، فابتدر القوم، وكان سلمة من بينهم، فسبقهم إليه، فأخذ بزمام ناقته أو بخطامه، ثم قتله، فنفله رسول الله ﷺ سلبه.

وكان رضي الله عنه يسارع في الخيرات، محبا لرسوله مطيعا له، وكان من شدة تعلقه بالنبي أنه كان يرمي الوحش ويصيدها ويهدي لحمها إلى رسول الله ﷺ، يقول: فقدني رسول الله ﷺ، فقال: سلمة أين تكون؟ فقلت: تباعد الصيد يا رسول الله، فإنما أصيد بصدر قناة (اسم مكان)، فقال: أما لو كنت تصيد بالعقيق (اسم مكان) لسبقتك إذا ذهبت، وتلقيتك إذا جئت، فإني أحب العقيق.

وكان يتحرى سنة رسول الله ﷺ، فكان يأتي إلى صلاة الضحى فيعمد إلى الأسطوانة دون المصحف فيصلي قريبا منها، فيقال له: ألا تصلي في نواحي المسجد، فيقول: إني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى هذا المقام، وحين وقعت جارية في سهمه في إحدى السرايا وهبها للنبي ﷺ على الرغم من أنها كانت من أجمل بنات العرب.

روائع القصص

ربح البيع أبا الدحداح

كان الرسول محمد ﷺ يجلس وسط أصحابه عندما دخل شاب يتيم إلى الرسول ﷺ يشكو إليه.

قال الشاب «يا رسول الله، كنت أقوم بعمل سور حول بستاني فقطع طريق البناء نخله هي لجاري طلبت منه ان يتركها لي لكي يستقيم السور، فرفض، طلبت منه إن يبيعني إياها فرفض. فطلب الرسول ﷺ ان يأتوه بالجار.

أتى الجار الى الرسول ﷺ وقص عليه الرسول شكوى الشاب اليتيم فصدق الرجل على كلام الرسول، فسأله الرسول ان يترك له النخلة او يبيعها له فرفض الرجل.

فأعاد الرسول قوله «بع له النخلة ولك نخلة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام».

فذهل اصحاب رسول الله من العرض المغري جدا جدا فمن يدخل النار وله نخلة كهذه في الجنة وما الذي تساوي نخلة في الدنيا مقابل نخلة في الجنة.

لكن الرجل رفض مرة اخرى طمعا في متاع الدنيا فتدخل احد اصحاب الرسول ويدعى ابو الدحداح فقال للرسول الكريم ﷺ إن اشتريت تلك النخلة وتركتها للشاب ألي نخلة في الجنة يا رسول الله؟ فأجاب الرسول نعم. فقال ابو الدحداح للرجل أتعرف بستاني يا هذا؟

فقال الرجل، نعم، فمن في المدينة لا يعرف بستان ابي الدحداح ذي الستمائة نخلة والقصر المنيف والبئر العذب والسور الشاهق حوله فكل تجار المدينة يطمعون في تمر ابي الدحداح من شدة جودته، فقال ابو الدحداح، بعني نخلتك مقابل بستاني وقصري وبئري وحائطي فنظر الرجل الى الرسول غير مصدق ما يسمعه أيعقل ان يقايض ستمائة نخلة من نخيل ابي الدحداح مقابل نخلة واحدة! فيا لها من صفقة ناجحة بكل المقاييس فوافق الرجل وأشهد الرسول الكريم ﷺ والصحابة على البيع وتمت البيعة.

فنظر ابو الدحداح الى رسول الله سعيدا سائلا «ألي نخلة في الجنة يا رسول الله؟« فقال الرسول «لا» فبهت أبو الدحداح من رد رسول الله، فقال الرسول ما معناه «الله عرض نخلة مقابل نخلة في الجنة وأنت زايدت على كرم الله ببستانك كله، ورد الله على كرمك وهو الكريم ذو الجود بأن جعل لك في الجنة بساتين من نخيل اعجز على عدها من كثرتها وقال الرسول الكريم «كم من مداح الى ابا الدحداح».

والمداح هنا ـ هي النخيل المثقلة من كثرة التمر عليها.

وظل الرسول يكرر جملته اكثر من مرة لدرجة ان الصحابة تعجبوا من كثرة النخيل التي يصفها الرسول لأبي الدحداح وتمنى كل منهم لو كان ابو الدحداح وعندما عاد ابو الدحداح الى امرأته، دعاها الى خارج المنزل وقال لها «لقد بعت البستان والقصر والبئر والحائط» فتهللت الزوجة من الخبر فهي تعرف خبرة زوجها في التجارة وشطارته وسألت عن الثمن فقال لها «لقد بعتها بنخلة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام» فردت عليه متهللة «ربح البيع ابا الدحداح ـ ربح البيع» فمن منا يقايض دنياه بالاخرة ومن منا مستعد للتفريط في ثروته او منزله او سيارته مقابل الجنة.

ذنوب كبيرة

شرب الخمر

قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)، فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها.

وقال النبي ﷺ: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث»، فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم الى بعض وقالوا: حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك. وذهب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الى ان الخمر اكبر الكبائر، وهي بلا ريب ام الخبائث، وقد لعن شاربها في غير حديث.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة» (رواه مسلم)، وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان على الله عهدا لمن شرب المسكر ان يسقيه الله من طينة الخبال»، قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار».

غزوات الرسول

غزوة بدر الكبرى
جدال بين كفار قريش

في صباح اليوم التالي ارتحلت قريش، فلما اقبلت ورآها رسول الله ﷺ قال: «اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم ـ أي أهلكهم ـ الغداة» وفي رواية: «اللهم لا تفلتن ابا جهل فرعون هذه الأمة، اللهم لا تفلتن زمعة بن الاسود..».

وبعثت قريش عُمير بن وهب الجمحي وقالوا له: احزر لنا اصحاب محمد فاستجال بفرسه حول المعسكر، ثم رجع الى قريش فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا او ينقصون، ولكن امهلوني حتى انظر أللقوم كمين او مدد؟! فضرب في الوادي حتى ابعد فلم ير شيئا فرجع اليهم فقال: ما وجدت شيئا، ولكني قد رأيت الولايا تحمل المنايا ـ الولايا جمع ولية وهي البردعة التي تكون تحت الرحل ـ نواضح ـ أي الابل التي يستقى عليها الماء، يثرب تحمل الموت الناقع، الا ترونهم خرسا لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الافاعي، لا يريدون ان ينقلبوا الى اهليهم، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم، والله ما أرى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم.

سمع حكيم بن حزام ما قاله عمير بن وهب الجمحي، فقال لعتبة بن ربيعة: يا ابا الوزيد، انك كبير قريش وسيدها المطاع فيها.

قال عتبة: وماذاك يا حكيم؟ قال: نرجع بالناس.

قال عتبة: قد فعلت، فأت ابن الحنظلية فإني لا اخشى ان يسجر ـ اي خالف ـ امر الناس غيره، يعني ابا جهل.

ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا، فقال: يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا واصحابه شيئا، والله لئن اصبتموه لا يزال الرجل ينظر الى وجه رجل يكره النظر اليه، قتل ابن عمه، او ابن خاله او رجلا من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن اصابوه فذلك الذي اردتم وان كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ماتريدون. فلما سمع ابو جهل خطبة عتبة، قال: انتفخ والله سحره ـ اي رئته ـ (يقال ذلك للجبان) حين رأى محمدا واصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فلما بلغ عتبة قول ابي جهل قال: سيعلم مصغر أسته من انتفخ سحره، انا أم هو؟

وخرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي فقال: اعاهد الله لأشربن من حوضهم او لأهدمنه او لأموتن دونه، فلما خرج، وخرج اليه حمزة بن عبدالمطلب ضربه حمزة فأطار قدمه، ثم حبا الى الحوض ليشرب منه ويهدمه فأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

● الشيخ سيد الرفاعي